رجال الصوفية

ذو النون المصرى

للأستاذ عبد العزيز سعد فرج واعظ مركز منفلوط

هو أبو الفيض ذو النون المصرى ولد بأخميم واختلف فى تاريخ ميلاده ويرجح بعضهم أنه ولد سنة ١٨٠ هجريه وتلقى علومه الأولى وحفظ القرآن الكريم وكانت مصر خاضعة للخلافة العباسية ثم تربى فى ربا أخميم ببيت من بيوت الحكمة فيه تماثيل وصور. ومال إلى دراسة الكيمياء ، الصنعة، وجرته الكيمياء إلى دراسة الفلسفة ولذلك وصف بأنه فيلسوف وكيماوى، والمراد بالكيمياء تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة — درس الفلسفة وكانت أفلاطونيه حديثة وكانت النواة والطريق إلى تصوفه ثم ارتحل إلى مصر لاتمام دراسته وفى مصر تغير اتجاهه واشتغل بالحديث فروى عن الإمام مالك موطأه والليث بن سعد وسفيان وكون له حلقة وتلاميذ ولم تطل مدة اشتغاله بالحديث فرجع إلى التصوف وشغف به ووجد فيه السعة والرحابة.

تصوفه: دخل مرحلة التصوف واشتغل به وتاقت نفسه إلى التبحر فيه والغوص فى أعماقه ووجد فيه ضالته المنشودة ومقصده الأسمى. ومن عوامل تصوفه فلسفة الإسكندرية وروايته للحديث والآثار وتلقى الدروس والحكمة. بدأ يتحدث عن الأولياء والعلم والمعرفة فاتهم بالزندقة وقال لأن أرمى بالزندقة خير من أن أرمى بالتهور واستمر فى الدراسة واستمر الفقهاء يرمونه بالزندقة واجتمع ببعض الزاهدين والزاهدات إلى جانب والميل الشديد إلى محبة الله والسير فى طريق هذه المحبة والاستعداد لها.

رحل إلى الشام ثم رجع إلى

مصر وسمع عن رجل باليمن من الصوفية فشد رحاله إلى مكة ثم اجتمع باليمنى الصوفى وتلقى عنه وعاد إلى مصر واستقر فيها وترك الجولان فى البلدان .

رحلته إلى الخليفة المتوكل: رحل إلى الخليفة المتوكل وكان من المستهترين ودارى استهاره بأن أخذ مذهب أهل السنة وقرب إليه العباد والزهاد واشتد أتهامه بالزندقه ووشى به إلى الخليفة المتوكل وسيق مكبلا بالحديد وزج به فى السجن وأخيرا قربه إليه وأدناه وفضله على العلماء والزهاد لما ظهر منه من الحكمة والمعرفة الحقه.

عودته إلى مصر. عاد إلى مصر وسكن فى الجيزة واتسعت حلقته فى العلم والتف الناس حوله ورغبوا فيه لفيض علمه وغزير حكمته ومعرفته ومن تلاميذه النخعى وغيره واستمر أعزبا من غير زواج ثم انتقل إلى دار البقاء وتوفى فى سنة ٢٤٥ أو ٢٤٦ وهو الصحيح. توفى يوم الإثنين ليلتين خلتا من ذى القعدة سنة ٢٤٦ هجرية وحملت جنازته إلى الفسطاط ودفن بالقرافة الصغرى رحمه الله رحمة واسعة وأجزل مثوبته .

تعاليمه وفلسفته الصوفية :

كان من تعاليمه فى الصوفية العمل بها والتمسك بأهدابها وذلك فى :

(١) أن يؤمن الشخص بالله إيمانا عميقا ويشتد خوفه منه سبحانه وتعالى ويتحقق الخوف بالورع عن الشبهات والبعد عنها وحفظ اللسان وكظم الغيظ .

(٢) أن يزهد الشخص فى الدنيا وأن يقل الإقبال عليها لأن الحكمة لا تسكن معدة ملئت بالطعام .

« اشتاقت الجنة إلى ثلاثة : على وعمار وسلمان الفارسى رضى الله عنهم .

المعرفة عنده : العمل بوحدانيته تعالى وصفاته بطريق المكاشفة والمشاهدة وتنال هذه المعرفة بالنظر فى الأمور والمقادير كيف قدرها وفى الإقبال على الله تعالى وشدة الإخلاص لذاته عز وجل والاعتصام بحبل الله المتين .

تلك كانت طريقة المعرفة عنده وهى السبيل الوحيد فى الوصول إلى الله والقرب منه عز وجل .

« ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » ؟

عبد العزيز سعد فرج سعد